

قراءة في سياقات ودلالات اللحن والتطور اللغوي

الأستاذ الدكتور صدام فهد الأسدي

كلية التربية – جامعة البصرة

معنى اللحن لحن العامة و التطوير اللغوي د. رمضان عبد التواب / ١٩٦٧

اللحن : مخالفة العربية الفصحى في الاصوات او الصيغ و التراكيب و دلالة الالفاظ .

كما جاء في كتاب الاستاذ الدكتور رمضان عبد التواب (لحن العامة والتطور اللغوي)

دلالة اللحن : ١- الخطأ اللغوي

١- تطلق كلمة اللحن على عدة معان جمعها ابن بري (للحن تسعة معان) .

الخطأ في الاعراب ، و اللغة و الغناء و الفطنة و التعريض و المعنى)) .

٢- اقدم نص وردت فيه كلمة اللحن بمعنى الخطأ ينسب الى عبد الملك بن مروان (

الاعراب جمال للوضيع و اللحن هجينة على الشريف)

(اللحن في الكلام اقبح من التفتيق في الثوب و الجدرى في الوجه)

و قد قال له ادهم: لقد اسرع اليك الشيب قال : (شيبني صعود المنابر و الخوف من

اللحن)

٣- وردت كلمة لحن على لسان الحجاج الثقفي يقرأ ((ان كان ابائكم و ابناؤكم احب

يقرأها احب بالرفع قال (لا جرم لا تسمع لي لحنا ابدا) .

٤- وردت عند معاوية في بداية الاموي فكان يتصور ان اللحن هو الفطنة سألهم : كيف

ابن زياد فيكم ؟ قالوا : ((ظريف على انه يلحن)) قال : فذاك اظرف له .

٥- اقدم شعر وردت فيه كلمة اللحن بيت مالك بن اسماء الفزاري من الامويين :

منطق صائب و تلحن احيانا و خير الحديث ما كان لحنا

٦- قال الجاحظ : ((ان اللحن هو الخطأ في الكلام)) و كذلك ايده ابن قتيبة و ابن عبد ربه و قد حلل الجاحظ قول مالك ((ان مالك استملح اللحن من بعض نسائه)) و قد اعاب علي بن يحيى المنجم على الجاحظ ان يشبه اللحن بهذا الوصف يكره للجارية ان تشبه الرجال في فصاحتها)) .

٧- من اقدم الشواهد على استعمال كلمة لحن قول الحكم بن عبدل الاسدي في محمد بن عمير :

ليت الامير اطاعني فشفيته من كل من يكفي القصيد و يلحن

٨- من اقدم الشواهد قول يحيى بن نوفل الحميري في هجاء خالد العشري والي العراق

و الحن الناس كل الناس قاطبة و كان يدلع بالتشديق في الخطب

٩- و قد ورد استعمال اللحن بمعنى الخطأ اللغوي في شعر رؤبة بن العجاج :

فزت بقدحي معرب لم يلحن

في نقد اراء الجرجاني في الاقوال و المعاني :

١- الكلام يعطي العلوم منازلها و يبين مراتبها و يكشف عن صورها و لولاه لقطعت ثوب الخواطر و الافكار من معانيها و لبقيت القلوب مقفلة .

٢- الالفاظ لا تتفاضل و هي مجزرة و انما تثبت الفضيلة في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها .

٣- نظم الكلام و تأليف يجيء بعد نظم المعاني في النفس و على ترتيبها في العقل اولا فالألفاظ نظم كلامي و صورة مترجمة للنظم العقلي .

٤- وضوح المعاني و خفاؤها و زيادتها و نقصها لا يكون الا باختيار اللفظ الخاص بها

من معاني المتنبي و الالفاظ التي قلد بها القرآن

((ان ذلكم يؤذي النبي فيستحي منكم و الله لا يستحي من الحق)) .

تلد له المروءة و هي تؤذي و من يعشق يلذ له الغرام

ما هي الاشياء التي لا بد من العناية بها و هي الاصل في تأليف الكلام :

١- اختيار الالفاظ المفردة مثل اللائي

٢- نظم كل كلمة مع اختها للمشاكله لها .

٣- الغرض المقصود من الكلام على اختلاف انواعه .

من الكلمة الفصيحة وضعوا شروط هي :

١- سهله النطق على اللسان .

٢- جميله الجرس على الاذان .

٣- واضحه المعنى .

٤- موافقه لاصول اللغة .

٥- معتدله في عدد حروفها .

٦- ليس في معانيها ما تنفر منه النفس .

٧- الطرافة و الخصوصية .

ملاحظات عن الفاظ المتنبي :

١- لم يوفق الا قليلا في اختيار كلماته المفردة و كلامه المركب

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن

ان التي مسكت دمي بعيونها لم تدر ان دمي الذي تنقلد

و نهب نفوس اهل النهب اولى باهل المجد من نهب القماش

و من توهمت ان البحر راحته جودا و ان عطاياه جواهره

اسائلها عن المستدير بها فلا تدري و لا تدري دموعا

(هذر) عش ابق اسم شد قد جد قرانه رف اسرئل

غظ ارم حب احم اغز اسب رع زع ول اتن نل

ان الكريم بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويد أدواتها

٢- يكرر المتنبي ذا - ذي و يسأله ابن جني روايته لماذا تكرر فيجب ان هذا الشعر لم يعمل كله في وقت واحد و النقاد يعترضون عن استعمال ذا فهي ضعيفة في صفة الشعر داة على التكلف .

الجرجاني ولد ٢٩٠هـ اشتهر بالفقه و فسر القرآن الكريم و له تفسير القرآن الكريم ، تهذيب التاريخ - الوساطة .

ثانياً اللحن بمعنى الغناء

يقصد به التطريب و ترجيع الصوت و تحسين القراءة و الشعر و الغناء

١- نفي الحديث : ((اقرأوا القرآن بلحون العرب و اصواتها و اياكم و لحون اهل العشق و لحون اهل الكتابين)) و اللحن و الالحن جمع لحن .

٢- روى حمزة الاصبهاني في كتابه (الكلمات الفاخرة) الحن من قينتي يزيد و الحن من الجرادتين (قينتي يزيد حياته و سلامته و الجرادتان قينتان لمعاوية العمليقي و اسمهما يعاد و يماذ .

٣- وردت كلمة لحن بمعنى الغناء في الشعر العربي للدلالة على هديل الحمام و غنائه كقول بريدة الاشعري :

يميل بها و تركبه بلحن اذا ما عن للمحزون انا

٤- وردت كلمة لحن بمعنى الغناء في قول الشاعر ابن عميرة الحرمي :

باتا على غصن بان في ذرا فنن يرددان لحونا ذات الوان

٥- قول جحدر العكلي في وصف حمامتين :

تجاوبتا بلحن اعجمي على غصنين من غرب و بان

الحن بمعنى الفطنة و الفهم

- ١- قال الرسول (صلى الله عليه و اله و سلم) : ((انكم لتختصمون الي و عسى ان يكون بعضكم الحن بحجته عن الاخ فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من النار)) اي اعرف بالحجة و افطن بها .
- ٢- قول عمر بن عبد العزيز : ((عجت لمن لاحن الناس و لاحنوه كيف لا يعرف جوامع الكلم)) اي فاطنهم و جادلهم .
- ٣- قول لبيد العامري :

متعود لحن يعيد بكفه قلما على عسب و ذبلن و بان

- ٤- قول مالك بن اسماء بن خارجة بمعنى الفطنة و الفهم :

منطق صائب و تلحن احيانا و خير الحديث ما كان لحنا

- ٥- قول ابن احمد الباهلي يصف صحيفة كتبها :

و تعرف في عنوانها بعض لحنها و في جوفها صمعاء تبلي النواصيا

و العلاقة الطبيعية التي توجد في هذه الطوائف الاربع بين اصوات الكلمة العربية و مدلولها يوجد مثلها في جميع اللغات و يرجع السبب في هذه العلاقة الى النشأة الاولى للغة الانسان فالراي الراجح ان اللغة الانسانية قد نشأت من محاكاة الانسان للأصوات التي تصدر من الحيوانات و الاشياء و للأصوات التي تحدثها الافعال عند وقوعها فلا غرابة اذن ان يبقى في كل لغة بعض كلمات تمثل الاصل الاول .

- ١- الطائفة الثانية تمثل العلاقة الوضعية في محاكاة الاصوات و اهم مظاهرها :

أ- الاشتقاق العام : يرتبط كل اصل ثلاثي في اللغة بمعنى عام وضع له فيتحقق هذا المعنى في كل كلمة توجد فيها الاصوات الثلاثية مرتبة حسب ترتيبها في الاصل

يطلق علماء الصرف اسم الاشتقاق على ناحية تبدو فيما يسمونه بالمشتقات افعال الماضي و المضارع و الامر و اسم الفاعل و المفعول و الزمان و المكان و الالة ، و يطلق بعض الباحثين في فقه اللغة اسم الاشتقاق الاصغر لتمييزها عن الاكبر .

انواع الاشتقاق :

أ- الاشتقاق من اسماء الاعيان : في مئات الالفاظ كأشتقاق اسماء الذهب و الفضة و اسماء الحجر و النسر و الناقة و الاسد - استحجر - استنوق - استأسد - استنسر .. و اسماء التاج و الحنة و البحر و الشيطان ، و لكثرة استخدام العرب هذا النوع من الاشتقاق و شدة الحاجة اليه في العلوم و الفنون اجاز مجمع اللغة استخدامه قياسا عند الضرورة .

ب-المصدر الصناعي : زيادة ياء النسب و التاء على اللفظ للتعبير عن المعنى الحاصل بالمصدر و قد استخدم العرب هذا المصدر في بضع عشرات من الكلمات الجاهلية و الاعرابية و الربوبية و الرهبانية و الفروسية و توسع بعدهم الفلاسفة .

٢- الاشتقاق الكبير : ترتبط بعض مجموعات ثلاثية من الاصوات ببعض المعاني ارتباطا مطلق غير مقيد بترتيب فتدل كل مجموعة منها على المعنى المرتبط بها جبر - ج ب ر - القوة و الشدة و منها جبروت ، جرب - الجراب ، بجر - (القوي) و برج - قوته و مناعته و رجب لتعظيمه عن القتال الترجييب ضم اعذاق النخلة الى الحوض ، ق س و ة : شدة القلب - قوس - و قس ابتداء الحرب و شق اجتمع و اشتد .

٣- الاشتقاق الاكبر : ترتبط بعض مجموعات ثلاثية من الاصوات ببعض المعاني ارتباطا غير مقيد بنفس الاصوات بل بنوعها العام و ترتيبها .

فمن الاتفاق على الصفات : ساطع - صاطع ، سراط - صراط .

و من التقارب في المخرج حالك - حانك ، هدر - هدل ، اوشاج - امشاج ، بعثر - بحثر ، فوم - ثوم .

ثالثاً : استخدام اللحن بمعنى اللغة

١- احاديث الخليفة عمر بن الخطاب (ر ض) قال : ((تعلموا الفرائض و السنن و اللحن)) .

٢- الاية الكريمة التي حللها الازهري : ((و لتعرفنهم في لحن القول)) ، ان يتعلم الناس طريقة العرب في اداء القراءة و لا يتبعوا الاعاجم في تلاوة القران .

٣- في كتاب الاضداد لابن الانباري قال : ((يجوز ان يكون اللحن في هذا الحديث الصواب و يجوز ان يكون الخطأ لانه اذا عرف القاريء الخطأ عرف الصواب)) .

٤- حديث الخليفة عمر بن الخطاب (رض) : ((ابي اقرؤنا و انا لنرغب عن كثير من لحنه)) .

٥- استخدام التابعي عمرو بن شرحبيل كلمة اللحن بمعنى اللغة في تفسير الاية : ((فارسلنا عليهم سيل العرم)) فقال العرم المسناة بلحن اليمن اي لغة اليمن .

٦- وردت كلمة اللحن بمعنى اللغة او اللهجة على لسان ابي المهدية الاعرابي قالوا له في الصلاة ((كيف تقول)) (ليس الطيب الا المسك)) قال : ليس هذا لحني و لا لحن قومي)) اي ليس من لهجتي و لهجة قومي .

٧- من الشواهد الشعرية على استخدام كلمة اللحن قول ذي الرمة :

((من الطنابير يزهي صوته ثمل في لحنه عن لغات العرب تعجيم))

٨- قول ابو المطراب عبيد بن ايوب مستخدماً اللحن بمعنى اللغة

ارنت بلحن بعد لحنٍ و واوقت حوالي نيرانا تلوح و تزهر

٩- انشدت الكلبية ابا عدنان :

و قوم لهم لحن سوى لحن قومنا و شكل و بيت الله لسنا نشاكله